إشكالية الهوية فى "بشرة سوداء - أقنعة بيضاء" لفرانز فانون

د.علياء سرايا(*)

مقدمة

إنشغل المفكرون السياسيون فى العصور المختلفة بإشكاليات تتعلق بتطورات الواقع وسعوا إلى بلورة رؤى حولها تصفها وقد تقترح حلولا لها. فى هذا الصدد، تعد إشكالية الهوية من أهم الإشكاليات التى ركز عليها الفكر السياسى والتى طرحت رؤى مختلفة بشأنها منذ العصور القديمة. لكن يلاحظ أن عددا كبيرا من الكتاب إتفق على أن الهوية مرتبطة إرتباطا وثيقا بالوجود[١]. كما أكد بعضهم على أن الهوية ليست شيئا معطى إنما يتم بناؤها بإستمرار فى سياق معين[٢]. بهذا المعنى، تنشأ الهوية لكنها تتطور أيضا وقد تتعرض للإنهيار أوللإختفاء، وفقا لعلى ليلة، وذلك لأنها تتفاعل مع سياقها[٣]. بالإضافة إلى ذلك، توضح التجارب التى مرت بها مختلف الشعوب أن الإنسان الذى يعيش فى وضع سياسى، إقتصادى وإجتماعى مستقر ولا يواجه تحديات تثير مخاوفه ليس بحاجة إلى تأكيد هويته، ولكنه يبدأ فى إبرازها فى ظل وجود خطر يهدده[٤].

فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين حظيت إشكالية الهوية بإهتمام من قبل الفكر السياسى الأفريقى فى ظل الإستعمار والعنصرية التى عانى منها الأفارقة سواء داخل القارة أو خارجها. يمكن فى هذا الصدد التمييز بين ثلاثة تيارات فكرية أساسية شددت بشكل مختلف على إعتزاز الأفارقة بهويتهم وتأكيدهم عليها.

ركز التيار الفكرى الأول على مفهوم "الشخصية الأفريقية" الذى طرحه بلايدن Blyden[٥] فى أواخر القرن التاسع عشر حيث رفض الإدعاء بتفوق الجنس الأبيض على الأسود وسعى إلى إبراز تميز هذا الأخير مع الدعوة إلى مساواته بالأبيض[٦]. يلاحظ أن الزعيم السياسى الغانى نكروما Nkrumah تبنى هذا

(*) أستاذ مساعد بقسم العلوم السياسية - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة - عدد ٤٤، يوليو ٢٠١٨ ص ص ٦٢٧ - ٦٥٢ .

[1] Stéphane Ferret (textes choisis et présentés par), L'identité, Paris, Flammarion, 1998, p. 11.

[٢] إنظر فى هذا الصدد :

Jean-François Bayart, L'illusion identitaire, Paris, Fayard, 1996, p. 9-10.

Claude Dubar, La crise des identités - l'interprétation d'une mutation, Paris, Presses universitaires de France, 2007, p. 200.

[٣] على ليلة، الأمن القومى العربى فى عصر العولمة - إختراق الثقافة وتبديد الهوية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠١٢، ص. ١٩١.

[٤] محمد منصور، المواطنة والهوية فى عالم متغير، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠١٦، ص. ٧٠-٧١.

[٥] إدوارد ويلموت بلايدن (١٨٣٢-١٩١٢) هو معلم وكاتب ولد فى سانت توماس بجزر فيجرن ولكنه ذهب إل ليبيريا فى سنة ١٨٥١ بعد أن رفضت أحد كليات اللاهوت فى الولايات المتحدة الأمريكية أن يدرس فيها بسبب جنسه وعاش أيضا فى سيراليون. كما تولى مناصب سياسية ويعد من رواد فكرة الجامعة الأفريقية.

حمدى عبد الرحمن، أفريقيا وتحديات عصر الهيمنة...أى مستقبل ؟، القاهرة، مكتبة مدبولى، ٢٠٠٧، ص. ١٩.

[6] Hubert MonoNdjana, Histoire de la philosophie africaine, Paris, L'Harmattan, 2009, p.176.

Guy Martin, African political thought, United States- New york, Palgrave Macmillan, 2012, p. 47.

المفهوم الذى إنتشر بعد ذلك فى الدول الأفريقية الأنجلوفونية[٧]. أما التيار الفكرى الثانى، فقد إهتم بمفهوم "الزنوجة" الذى طرحه سيزار Césaire[٨] فى ثلاثينات القرن العشرين فى مواجهة سياسة الإستيعاب الفرنسية ثم بلور الشاعر والزعيم السياسى السنغالى سنجور Senghor رؤية له، كما دعا إليه داماس Damas[٩] وإنتشر منذ الحرب العالمية الثانية فى الدول الأفريقية الفراكوفونية[١٠]. بصفة عامة، تشير الزنوجة، التى إهتم بها الأدباء والشعراء، إلى سلالة لها صفات وطبائع خاصة تميزها عن غيرها، وتعكس ليس فقط رفض الإذلال إنما أيضا الرغبة فى التأكيد على كرامة الزنجى[١١].

بالرغم من الإختلاف بين التيارين الفكريين السابقين فإن كليهما إرتبط تاريخيا بالدعوة إلى الجامعة الأفريقية كمثل أعلى وكحركة هدف بصفة عامة روادها، الذين إختلفوا فى رؤيتهم لها، إلى إيجاد إطار يجمع الأفارقة فى مواجهة العنصرية والإستعمار[١٢]. كما يلاحظ أن كليهما يقوم على الوعى بالذات الأفريقية والعمل على تشكيل وعى تاريخى بها لدى الأفارقة ولو بشكل مختلف[١٣].

---

[٧] بنيامين ليشوا، أفريقيا بعد الإستقلال فى عيون كتابها وشعرائها، ترجمة عمر عبد الفتاح، آفاق أفريقية، العدد ١٥، خريف ٢٠٠٣، ص. ٩٤.

[٨] إيمى سيزار (١٩١٣-٢٠٠٨) هو شاعر ولد فى جزر المارتينيك واستكمل دراسته فى باريس كما أصبح معلم فى بلاده وتولى مناصب سياسية.
تم الحصول على هذه المعلومات من الموقع الإلكترونى للمكتبة الوطنية الفرنسية :
http://www.bnf.fr (accessed on 26/11/2018).

[٩] ليون داماس (١٩١٢-١٩٧٨) ولد فى كاين بغويانا الفرنسية Guyane française وعاش فى جزر المارتينيك قبل أن يلتحق بالجامعة فى باريس. بالرغم من أن منحته الدراسية كانت مخصصة لدراسة القانون إلا أنه إهتم بالعلوم الإنسانية والإجتماعية وبالتالى أصبح كاتب وشاعر ومحرر. كما إلتحق بالجيش الفرنسى فى الحرب العالمية الثانية وتولى مناصب سياسية.
تم الحصول على هذه المعلومات من : https://blackpast.org (accessed on 26/11/2018)

[١٠] إنظر فى هذا الصدد :
- عبد الملك عودة، فكرة الوحدة الأفريقية، القاهرة، دار النهضة العربية، دون تاريخ نشر، ص. ١٢ وص. ٦٧.
- Bernard Nanet, Dictionnaire d'histoire et civilisations africaines, Paris, Larousse, 1999, p. 192.
- Jean-Godefroy Bidima, La philosophie négro-africaine, Paris, Presses universitaires de France, 1995, p. 12-13.

[١١] إنظر فى هذا الصدد :
- عبد الملك عودة، مرجع سابق، ص. ١٢.
- Hubert MonoNdjana, Op.cit, p. 181.

[12] Guy Martin, Op.cit., p. 57.

[١٣] إنظر فى هذا الصدد :
- حمدى عبد الرحمن، جيفارا الأفريقى- دراسة فى الفكر السياسى لتوماس سانكارا، تقديم حلمى شعروای، القاهرة، مكتبة جزيرة الورد، ٢٠١٥، ص. ٤٠-٤١.
- P. Ngoma-Binda, La pensée politique africaine contemporaine, Paris, L'Harmattan, 2013, p. 137.

لكن ركز التيار الفكرى الثالث أى تيار الوعى الأسود بشكل أكثر صراحة على فكرة الوعى السابقة. فقد إرتبط هذا التيار بالحركة التى أنشاها الطلاب السود فى جنوب افريقيا فى سبعينات القرن العشرين بهدف إيجاد "مجتمع جنوب أفريقى غير عنصرى" يتحقق فيه الإندماج والإحترام المتبادل لكل الأعراق[١٤] وإنتشرت وإنتشرت فى الولايات المتحدة الأمريكية[١٥]. يعد بيكو Biko[١٦] من أهم رواد هذا التيار الفكرى الذى رفض الأفكار التى تحط من شأن الأفريقى مؤكدا على أن تحرير السود ليس ماديا فقط إنما أيضا فكريا ونفسيا بمعنى قبول الذات والشعور بالفخر والثقة[١٧].

إنطلاقا من ذلك، تركز الدراسة على تحليل إشكالية الهوية كما عالجها أحد أهم رواد الفكر السياسى الأفريقى وهو فرانز فانون Frantz Fanon فى كتابه الأول بعنوان "بشرة سوداء - أقنعة بيضاء" Peau noire-masques blancs الصادر فى سنة ١٩٥٢[١٨]. يعد فرانز فانون (١٩٢٥-١٩٦٢)، الذى عاش خارج وداخل القارة الأفريقية والذى جمع بين الفكر والحركة، منظر التحرر من الإستعمار. ولد هذا المفكر، من أصل مارتينيكى، فى فور دو فرانس Fort-de-France فى جزر الأنتيل فى سنة ١٩٢٥ ودرس الطب فى ليون فى فرنسا وتخصص فى الطب النفسى. كما إلتحق بالجيش الفرنسى فى الحرب العالمية الثانية من أجل النضال ضد النازية وتم تعيينه فى سنة ١٩٥٣ رئيسا لدائرة الطب النفسى فى مستشفى بليدا-جونيفيل بالجزائر. من هنا بدأ يقترب تدريجيا من جبهة التحرير الجزائرية وعمل بعد ذلك فى تونس حيث شارك فى تحرير جريدة "المجاهد" الصادرة بإسمها وذلك بعد أن إستقال من هذا المنصب فى سنة ١٩٥٦. كما دفن فرانز فانون، الذى اصيب بسرطان الدم، فى الجزائر فى مقبرة تضم رفات شهداء جبهة التحرير الجزائرية بعد وفاته فى واشنطن[١٩].

---

[14] Ibid., p. 170.

[١٥] باسم رزق عدلى مرزوق، الهوية الأفريقية فى فكر المفكرين الأفارقة الأنجلوفون- دراسة لبعض الرؤى الفكرية، مجلة الشئون الأفريقية، العدد ٦، أبريل ٢٠١٤، ص. ٣٦-٣٧.

[١٦] ولد ستيف بيكو (١٩٤٦-١٩٧٧) فى كينج وليميز تاون (شرق الكاب) فى جنوب أفريقيا وإلتحق بالقسم الخاص "بغير الأوروبين" بكلية الطب بجامعة ناتال. كان نشط فى إتحاد الطلاب فى الجامعة ثم أصبح مناضل سياسى. لكنه تعرض لمضايقات من قبل السلطة السياسية وتم القبض عليه وتوفى فى السجن.

Guy Martin, Op.cit., p. 119-120.

[١٧] إنظر فى هذا الصدد :

- باسم رزق عدلى مرزوق، مرجع سابق، ص. ٣٧-٣٩.
- باسم رزق عدلى، إتجاهات الأمن الفكرى فى أفريقيا، السياسة الدولية، العدد ٢١١، يناير ٢٠١٨، ص. ٢٨-٢٩.

[١٨] تعتمد الدراسة على النسخة الإلكترونية الفرنسية المتاحة لهذا الكتاب التى أعدتها فى سنة ٢٠١١ إيميلى ترامبلى Emilie Tremblay إستنادا إلى الكتاب الاصلى فى إطار المكتبة الرقمية بعنوان "كلاسيكيات العلوم الإجتماعية" التى تصدر بالتعاون مع مكتبة بول إيميلى بوليه بجامعة كيبك بكندا (http://classiques.uqa.ca) . كما سيتم الإشارة إليها كما يلى :

Frantz Fanon, Peau noire- masques blancs, document produit en version numérique par Emilie Tremblay et réalisé le 6 décembre 2011 à Chicoutimi, ville de Saguenay, Québec.

[١٩] إعتمدنا فى التعريف بفرانز فانون وكتاباته على :

إستند فرانز فانون فى كتابه " بشرة سوداء - أقنعة بيضاء" ليس فقط على تجاربه الشخصية إنما أيضا على قراءته النقدية لكتابات بعض الفلاسفة وعلماء النفس واللغة والسلالات العرقية. كما قسم كتابه، بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة، إلى سبعة فصول تطرقت بالتوالى إلى "الأسود واللغة"،"المرأة الملونة والأبيض"، "الرجل الملون والبيضاء"، "الإدعاء الخاص بعقدة التبعية التى تعانى منها الشعوب الخاضعة للإستعمار"، "الخبرة التى عاشها الأسود"، "الزنجى وعلم النفس المرضى" و"الزنجى والإعتراف". هذا وقد نشر لفرانز فانون ثلاثة كتب أخرى تقع أيضا فى إطار إنشغاله بمناهضة الإستعمار وهى "السنة الخامسة من الثورة الجزائرية" L'an cinq de la révolution algérienne فى سنة ١٩٥٩،"معذبو الأرض" Les damnés de la terre فى سنة ١٩٦١ و"فى سبيل الثورة الأفريقية" Pour la révolution africaine فى سنة ١٩٦٤.

تطرح الدراسة تساؤلا رئيسيا يتمثل فى الكيفية التى تطرق بها المفكر فرانز فانون لإشكالية الهوية فى كتابه "بشرة سوداء - أقنعة بيضاء" وذلك إنطلاقا من مناهضته لكل من العنصرية والإستعمار. كما تطرح تساؤلين فرعيين يتمثلان بالتوالى فى أسس الهوية وأبعادها التى أشار إليها هذا المفكر وطبيعة العلاقة بين الذات والآخرالتى إتضحت فى هذا الكتاب.

يمكن التمييز بين نوعين من النظريات التى تناولت الهوية[٢٠] عند التطرق للإطار النظرى للدراسة. يركز النوع الأول من هذه النظريات على الكيفية التى يتم بها إدماج الأوضاع الإجتماعية فى هيكل الذات ويحلل الكيفية التى تتشكل بها الأبعاد الثابتة للهوية الإجتماعية التى تم إدماجها والكيفية التى تؤثر بها على السلوك نتيجة عملية التنشئة. أما النوع الثانى من هذه النظريات، فيركز على الكيفية التى يتم بها الوصول إلى المعانى التوافقية الخاصة بالهوية الثقافية فى إطار سياقها ويحلل الكيفية التى يثير بها السياق الإجتماعى بعض الهويات ويشكل معناها.

- ديفيد كوت، فرانز فانون- سيرة فكرية، نقله إلى العربية عدنان كيالى، تقديم فوزى سليسلى، القاهرة، مدارات للأبحاث والنشر، ٢٠١٧، ص. ٣٤-٣٥، ص. ٦٩-٧٠، وص. ١٦٩-١٧١.
- Evelyne Pisier, « Fanon, Frantz 1925-1962- Les damnés de la terre, 1961 », dans Dictionnaire des œuvres politiques, sous la direction de François Châtelet, Olivier Duhamel et Evelyne Pisier, Paris, Presses universitaires de France, 2001, p. 309.
- Francis Jeanson, « Préface (1952) et Postface (1962) de Peau noire- masques blancs de Frantz Fanon », dans Frantz Fanon, Peau noire- masques blancs, document produit en version numérique par Emilie Tremblay et réalisé le 6 décembre 2011 à Chicoutimi, ville de Saguenay, Québec, p. 10 et p. 230-231.

[20] Timothy J.Owens, Dawn T. Robinson and Lynn Smith-Lovin, Three faces of identity, Annual review of sociology, vol. 36, 2010, p. 478. (https://www.jstor.org/stable/25735088 – accessed on 7/08/2018).

يتمثل المفهوم الرئيسى للدراسة فى الهوية التى حظيت بإهتمام من قبل المفكرين وعلماء الإجتماع والسياسة[٢١]. هناك تعريفات متعددة ومختلفة للهوية ولكن يمكن التمييز بين أربعة إتجاهات فى هذا الصدد[٢٢]. فالهوية، وفقا للإتجاه الأول، تعنى التحديد لشخصية الجماعة بينما تشير، وفقا للإتجاه الثانى، إلى إدراك متميز للمجتمع يتضح فى الشعور بالإنتماء الذى يتم التعبير عنه سياسيا. أما الإتجاه الثالث، فقد عرف الهوية على أنها تعبر عن السمات النفسية والإجتماعية والحضارية كما أنها الخصائص التى ترتبط بالفرد نتيجة لإنتمائه للمجتمع. بالإضافة إلى ذلك، فإن الهوية، بالنسبة للإتجاه الرابع، هى السمات التى تميز دولة قومية والتى تعكس الواقع الإجتماعى والإقتصادى.

تجدر الإشارة إلى أن الهوية، كما عرفها معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، "تتعلق بكون شخص ما أوكون جماعة ما قادرا أو قادرة على الإستمرار فى أن تكون ذاتها، وليس شخصا أوشيئا أخر"[٢٣]. كما وضح جيدنز Giddens أن : "الهوية بشكل عام، تتعلق بفهم الناس وتصورهم لأنفسهم ولما يعتقدون أنه مهم فى حياتهم. ويتشكل هذا الفهم إنطلاقا من خصائص محددة تتخذ مرتبة الأولوية على غيرها من مصادر المعنى والدلالة، ومن مصادر الهوية الجنوسة، والتوجه الجنسى والجنسية، والمنطلقات الإثنية والطبقة الإجتماعية"[٢٤]. تتبنى الدراسة هذا التعريف الأخير للهوية الذى يؤكد على مصادرها المختلفة.

هذا وتهدف الدراسة إلى تقديم قراءة فى كتاب "بشرة سوداء - أقنعة بيضاء" لفرانز فانون، الذى يعد من أهم رواد الفكر السياسى الأفريقى، وذلك بالتركز على تحليل إشكالية الهوية فيه. فى هذا الصدد، تعتمد الدراسة من الناحية المنهاجية على تحليل النصوص وتأخذ فى الإعتبار المستويات الأربعة المتعلقة بقرائتها التى أكدت عليهم سيزا قاسم والتى تتعلق بالتوالى بالإدراك والتعرف والفهم والتفسير[٢٥] من ناحية، والسياق الذى نشأ وعاش فيه المفكر من ناحية أخرى. كما تنقسم الدراسة إلى ثلاثة أقسام تناقش بالتوالى إدراك الذات لنظرة الآخر العنصرية لها، تشكيل الآخر للذات فى السياق الإستعمارى وسعى الذات إلى الحصول على قبول الآخر لها.

---

[٢١] محمد منصور، مرجع سابق، ص.٥٦-٥٧.

[٢٢] المرجع السابق، ص. ٥٧.

[٢٣] طونى بينيت، لورانس غروسبيرغ وميغان موريس، مفاتيح إصطلاحية جديدة – معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة سعيد الغانمى، بيروت، المنظمة العربية للترجمة/مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٠ ، ص. ٧٠٠.

[٢٤] هذا التعريف منقول عن : على ليلة، مرجع سابق، ص. ١٩٤.

[٢٥] سيزا قاسم، القارئ والنص- العلامة والدلالة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠١٤، ص. ١٩٣.

أولا : إدراك الذات لنظرة الآخر العنصرية لها

يمكن القول أنه إذا كانت الهوية، بصفة عامة، تعكس سمات معينة تجعل الذات فى سياق معين مختلفة عن الآخر، فإن تصور الذات لنفسها قد يتفق أو يختلف عن نظرة الآخر لها. إن الآخر يعرف بصفة عامة على أنه "ما يروغ من شعورنا وتعرفنا، وهو ما يكمن خارج عالم "ثقافتنا" وجماعتنا، فهو اللاذات واللانحن"[٢٦]. كما تشعر الذات بإحتياجها للآخر لكن قد يؤدى وجوده إلى خوفها أو قلقها مما يمكن أن يفعله بها[٢٧]. بهذا المعنى، يمكن أن يشير الآخرإلى مجرد الغريب أو قد يصبح العدو[٢٨]. يمكن القول أنه فى كل الأحوال، يبلور الآخر نظرته سواء الإيجابية أو السلبية عن الذات التى يتواجد معها فى سياق معين و يتفاعل معها بناء عليها. كما أن إدارك الذات لهذه النظرة، التى تمس هويتها، قد يؤدى إلى قبولها أو رفضها.

إن الذات التى يتطرق لها فرانز فانون فى كتابه "بشرة سوداء – أقنعة بيضاء" هى بالأساس الرجل الزنجى أو الأسود والمرأة الزنجية أو السوداء ولكنها أيضا تشير عنده إلى الرجل الملون والمرأة الملونة ويركز فى بعض فصوله بصفة خاصة على الأنتيلى، أى الإنسان الذى ينتمى إلى جزر الأنتيل التى ولد فيها المفكر. أما الآخر، الذى عالجه فى هذا الكتاب، فهو الرجل الأبيض والمرأة البيضاء ويشير أيضا إلى الأوروبى بصفة عامة والفرنسى بصفة خاصة. كما يلاحظ أن المفكر يؤكد، فى مقدمة هذا الكتاب، أن هناك فريقين وهما "الأبيض والأسود" وأنه يسعى من خلال فصوله المختلفة إلى فهم العلاقة بينهما[٢٩].

هذا وقد إهتم فرانز فانون، فى ظل مناهضته للعنصرية التى يؤكد أنها لا ترتبط بسياق معين[٣٠]، بطرح رؤيته للإنسان[٣١] لأنه يعالج بالأساس علاقات إنسانية بالرغم من الإختلافات الموضوعية المتمثلة فى العرق واللون بين الذات والآخر اللذين يركز عليهما. فالإنسان، بالنسبه له، هو الذى يؤكد على أهمية الحياة والحب والكرم أى الذى يعمل بالتالى على أن تصبح حياته وحياة الآخرين مليئة بالمحبة والكرم. لكن يرفض الإنسان، بالنسبة للمفكر، ليس فقط إحتقار غيره والحط بكرامته إنما ايضا الإستغلال والسعى إلى القضاء على الحرية بإعتبارها أكثر قيمة تعبرعن الإنسانية. يمكن إذن القول أن الإنسان، وفقا لفرانز فانون، يتسم بتمسكه بقيم أساسية، وهى المحبة والكرم والحرية، وبحرصه على إحترام غيره وحريته وإقامة علاقة طيبة معه لا تقوم على الإستغلال.

---

[٢٦] طونى بينيت، لورانس غروسبيرغ وميغان موريس، مرجع سابق، ص. ٤١.
[٢٧] المرجع السابق.
[28] Sélim Abou, L'identité culturelle – relations interethniques et problèmes d'acculturation, Paris, Hachette/Pluriel, 1995, p. x.
[29] Frantz Fanon, Op.cit., p. 30-31.
[30] Ibid., p. 96-97.
[31] Ibid., p. 219-220.

إنطلاقا من ذلك، تتسم رؤية فرانز فانون للإنسان بأنها ليست فقط إيجابية ومتفائلة إنما أيضا مثالية أى أن الإنسان، بالنسبة له، ليس بالطبيعة سيئ أو شرير. لكن يمكن القول أن المفكر واعى بدرجة كبيرة، إستنادا إلى الواقع، بامكانية إختلاف درجات التمسك بهذه القيم الأساسية ومدى هذا الحرص من إنسان إلى آخر ووفقا للزمان والمكان. من هنا، تتسم نظرة الآخر الأبيض، كما تتضح فى فصول مختلفة من كتابه "بشرة سوداء – أقنعة بيضاء" وبصفة خاصة السادس والسابع، للذات الزنجية بالعنصرية وذلك لأنها قائمة على نفى ليس فقط البعد الإنسانى لهوية الزنجى إنما أيضا البعد الأخلاقى لها. هذه النظرة تدركها الذات الزنجية، كما يؤكد المفكر، دون أن يعنى ذلك قبولها.

فى المقام الأول، تشترك الهويات، بصفة عامة، بالرغم من الإختلاف بينها فى سمات إنسانية عامة لكن هذا الإختلاف لا يعنى النظر إلى الآخرين على أنهم فى مرتبة أدنى[٣٢]. كما تجدر الإشارة إلى أن بيكو باريك يؤكد أن البعد الإنسانى هو أحد أبعاد الهوية الفردية. فهذه الأخيرة، وفقا للكاتب، تأخذ ثلاثة أبعاد تتسم بالتداخل وهم الشخصى والإجتماعى والإنسانى[٣٣]. يتعلق البعد الشخصى، بالنسبة له، بما يميز كل فرد وتشمل بالأساس قيمه ومعتقداته بينما يتعلق البعد الإجتماعى بعضوية الأفراد فى المنظمات والمجتمعات المختلفة. أما البعد الإنسانى الذى يعد الأوسع والأشمل وفقا للكاتب، فيشير إلى أن الأفراد يعرفون أنفسهم ببساطة على أنهم بشر ويشمل الكيفية التى يرتبط بها البشر ببعضهم البعض والذى يطلبونه من أنفسهم والآخرين بإعتبارهم بشر.

يشدد فرانز فانون على إن الآخر الأبيض لا ينظر فقط للذات الزنجية على أنها لا تتمتع بهذا البعد الإنسانى إنما يعتقد أيضا أن "الزنجى يمثل حلقة الوصل بين القرد والإنسان، أى الإنسان الأبيض"[٣٤]. من هنا يتضح إستناد الآخر الأبيض على الآراء التى تؤكد أنه إذا كان الإنسان ينحدر من القرد، فإن الإنسان الأبيض هو الناتج النهائى لهذه العملية الطويلة[٣٥]. فهذه الآراء تجعل بالتالى الإنسان صاحب البشرة البيضاء فى مرتبة أسمى من غيره صاحب البشرة المختلفة والذى لا تكتمل فيه بناء على ذلك كل الصفات الإنسانية. لكن يمكن إستنتاج أن الآخر الأبيض، الذى تطرق له فرانز فانون، يعد أكثر تطرفا فى هذا الصدد لأنه يجعل الإنسان الأبيض مرادفا للإنسان بمعنى أن الصفات الإنسانية لا تلازم حتى ولو جزئيا إلا الأبيض. ينتقد فرانز فانون

---

[٣٢] هويدا عدلى، الكراهية فى المجتمعات من منظور "أزمة الهوية"، إتجاهات نظرية فى تحليل السياسة الدولية – ملحق مجلة السياسة الدولية، العدد ١٩٩، يناير ٢٠١٥، ص. ١٥.

[٣٣] بيكو باريك، سياسة جديدة للهوية- المبادئ السياسية لعالم يتسم بالإعتماد المتبادل، ترجمة وتقديم حسن محمد فتحى، مراجعة محمود ماجد عبد الخالق، القاهرة، المركز القومى للترجمة، ٢٠١٣، ص. ٥٥-٥٦.

[34] Frantz Fanon, Op.cit., p. 47.

[35] Zachée Betché, L'invention de l'homme noir – une critique de la modernité, Paris, L'Harmattan, 2012, p. 17.

بوضوح نفى الآخر الأبيض البعد الإنسانى لهوية الزنجى ويلجأ فى ذلك إلى صيغة المفرد أى يأخذ على عاتقه الرد بإعتباره زنجيا وبإسم الزنجى الذى يواجه نظرة الأبيض له. فقد أكد على أن : "الأبيض أخطأ، أنا لست بدائيا ولست نصف إنسان، فأنا أنتمى إلى عرق كان يعمل، منذ ألفى سنة، فى الذهب والفضة"[٣٦]. كما يوضح مشددا : "أردت بكل بساطة أن أكون إنسانا ضمن الناس الآخرين. أردت أن أكون إنسانا، لا شئ سوى إنسان"[٣٧].

فى المقام الثانى، يتعلق البعد الأخلاقى للهوية بالمعانى المتعلقة بالمستوى الأخلاقى الذى يرى الفرد نفسه فيه[٣٨]. تجدرالإشارة إلى أن الكتابات الأولى[٣٩] فى هذا الصدد تطرقت إلى العدالة والإهتمام بإعتبارهما جانبين من البعد الأخلاقى للهوية وأكدت على أن العدالة تشمل الإنصاف، الصدق، والإستقامة بينما يشمل الإهتمام كل من الحنان والشفقة. بالرغم من ذلك، يرى بعض الكتاب أن الأخلاق ترتبط بدرجة كبيرة بنشاط مجتمعى يتفق من خلاله الناس على كيفية حل المشاكل الأخلاقية، بينما يرى كتاب أخرون أنها تشير إلى قواعد أخلاقية مشتركة ثقافيا مثل تلك الخاصة بالإستقلال الذاتى أوالمجتمع [٤٠]. بالإضافة إلى ذلك، هناك إقتراب ينطلق من أن الأفراد لا يتمتعون بنفس المستوى الأخلاقى ويشدد بالتالى على أن هويتهم يمكن بالتالى أن تتضمن بعدا غير أخلاقى أو بعدا معتدلا أخلاقيا أو بعدا أخلاقيا كبيرا[٤١].

يؤكد فرانز فانون على أن الآخر الأبيض ينفى هذا البعد الأخلاقى عن هوية الزنجى وفى المقابل يعتبر نفسه ممثلا لكل الأخلاق التى ينبغى التمسك بها. ففى هذا البعد للهوية، كما هو الحال فى بعدها السابق، يضع الأبيض نفسه فى مرتبة أسمى من الزنجى بل يعتبر نفسه نقيضا له. يوضح المفكر فى هذا الصدد أن الآخر الأبيض ينظرإلى الذات الزنجية بإعتبارها رمزا للشر وللقبح فى حين ينصب نفسه رمزا للخير وللجمال[٤٢].

هذا ويستطرد المفكر مركزا على التصورالسائد فى أوروبا عن الزنجى أى أنه ينتقل من الحديث عن الأبيض بصفة عامة أيا كان المكان الذى يعيش فيه، سواء فى أوروبا أو الولايات المتحدة الأمريكية أو حتى

[36] Frantz Fanon, Op.cit., p. 137.
[37] Ibid., p. 121.
[38] Jan E. Stets and Michael J. Carter, The moral self : applying identity theory, Social psychology quarterly, vol. 74, n° 2, june 2011, p. 197. (https://www.jstor.org/stable/41303977 – accessed on 7/08/2018).
[39] Ibid.
[40] Ibid.
[41] Ibid., p. 210.
[42] Frantz Fanon, Op.cit., p. 184.

فى أفريقيا، إلى أوروبا. من هنا، يشدد المفكر على أن الأسود بصفة عامة فى أوروبا[٤٣]، التى تضم كل البلاد المتحضرة التى تعمل أيضا على نشر الحضارة، يمثل الشر حيث يسود الإعتقاد أن الجلاد هو رجل أسود وأن الشيطان أسود. كما يضيف أن اللون الأسود فى أوروبا يمثل بالأساس "القذارة سواء المادية أو المعنوية"، الظلام، الظل، الليل، المتاهات فى الأرض، العمق السحيق، السمعة السيئة، الشر، الخطيئة، البؤس، الموت، الحرب والمجاعة، وذلك فى مقابل اللون الأبيض الذى يمثل بالأساس البراءة، السلام، الضوء الساحر، والنعيم. بناء على ذلك، يؤكد المفكر على أنه يتم النظر فى أوروبا للزنجى بإعتباره لا يمثل فقط الجانب السيئ من الشخصية سواء ماديا أو معنويا إنما يعد أيضا رمزا للخطيئة والقيم والمشاعر الدنيا والميول السيئة.

ينتقد فرانز فانون بوضوح نفى البعد الأخلاقى عن هوية الزنجى متبعا نفس الأسلوب الذى إتبعه عندما إنتقد نفى البعد الإنسانى عنها، أى أنه يتحدث بصيغة المفرد بمعنى أنه يأخذ على عاتقه الرد بإعتباره زنجيا وبإسم الزنجى الذى يواجه نظرة الأبيض له. فقد رفض فكرة وجود "أخلاق بيضاء"[٤٤] أى مبادئ وقيم يحتكرها الأبيض أو لا يتمسك بها سوى الأبيض. كما شدد على أنه : "لا يوجه العالم الأسود سلوكى، بشرتى السوداء ليست مستقر قيم معينة"[٤٥]. من هنا يمكن الإستنتاج أن فرانز فانون يرى أن الأخلاق لا تصنف وفقا للون البشرة وأن الإنسان بالتالى ليس محكوما عليه بالتمسك بمبادئ وقيم معينة والعيش وفقا لها لأنه ينتمى إلى عرق معين. كما أن هذا لا يعنى أن المفكر ينفى الخير عن الأبيض بل يعنى أنه يتصور أنه يمكن أن ينبع من الإنسان أيا كان لونه.

بناء على ما سبق، يمكن القول أن الذات الزنجية، كما صورها فرانز فانون، مهددة نتيجة نظرة الآخر الأبيض العنصرية لها .فالهوية تكون بصفة عامة مهددة عندما تتعرض الذات لتجربة يقوم فيها الآخر بالحط من القيم والمعانى والقواعد التى تتمسك بها وهذا قد يسبب ضررا لها[٤٦]. إن الذات الزنجية، كما يوضح فرانز فانون، مدركة أن الآخر الأبيض ينفى البعدين الإنسانى والأخلاقى لهويتها وأنه يتفاعل معها من هذا المنطلق وبإعتباره فى مرتبة أسمى منها وليس على أساس المساواة بينهما أو إنسانيتهما المشتركة.

[43] Ibid., p. 188-190.
[44] Ibid., p. 226.
[45] Ibid., p. 225.
[46] Jennifier Louise Petriglieri, Under threat : responses to and the consequences of threats to individuals identities, The academy of management review, vol. 36, n° 4, october 2011, p. 644. (https://www.jstor.org/stable/41318089 – accessed on 7/08/2018).

ثانيا : تشكيل الآخر للذات فى السياق الإستعمارى

إن الآخر الأبيض، كما يتضح فى كتاب "بشرة سوداء – أقنعة بيضاء" لفرانز فانون، لا يكتفى فقط بنظرته العنصرية للذات الزنجية إنما يعمل أيضا على تشكيلها، أى إعادة بنائها، فى السياق الإستعمارى التى تعيش فيه. فى هذا الصدد، يلاحظ أن فرانز فانون يركز بصفة خاصة على الذات الزنجية الأنتيلية وليس الزنجية بصفة عامة أى بصرف النظر عن البلد التى تعيش فيها. كما يركز المفكر على الآخر الأبيض الفرنسى وليس الأبيض بصفة عامة أو الأبيض الأوروبى. من المعروف أن فرنسا كانت تتبع سياسة الإستيعاب الثقافى فى مستعمراتها. كما تجدر الإشارة إلى أن الرئيس ديجول De Gaulle خير المستعمرات الفرنسية فى الإستفتاء الذى اجراه بعد توليه السلطة فى سنة ١٩٥٨ بين الإستقلال الفورى أو الإنضمام التام إلى فرنسا أو إتباع واحد من شكلين من أشكال الإرتباط بفرنسا ضمن مجتمع فرنسى جديد[٤٧]. فإختار سكان الأنتيل الإنضمام التام إلى فرنسا ولكن فرانز فانون إستاء من هذه النتيجة للإستفتاء[٤٨].

تتضمن الهوية بصفة عامة عنصر الإختيار بمعنى أن الفرد هو الذى يبلور تصوره لنفسه أو يحدد كيف سيعرف نفسه فى السياق الذى يعيش فيه وذلك أيا كان حجم الإختيارالذى يتمتع به[٤٩]. بالرغم من ذلك، يميز أمين معلوف بين نوعين من الهوية أى تلك التى لا نشترك فى صناعتها ونجد أنفسنا شبه مرغمين عليها من ناحية وتلك التى نزعمها ونركب عناصرها وفق تصور سابق لدينا من ناحية أخرى[٥٠]. إنطلاقا من ذلك، يمكن القول أن الهوية التى تنتج عن تشكيل الآخر الأبيض الفرنسى للذات الزنجية الأنتيلية، كما يوضح فرانز فانون فى كتابه "بشرة سوداء - أقنعة بيضاء"، تنتمى بدرجة كبيرة إلى النوع الأول من الهويات. كما أن المفكر، الذى يناهض السياق الإستعمارى الذى يتم تشكيلها فيه، لا يرصد ويتطرق فقط إلى الأساس الذى تبنى عليه أى اللغة إنما أيضا إلى أداة تكوينها أى التعليم.

فى المقام الأول، إهتم فرانز فانون بفهم الظاهرة الإستعمارية بشكل عام ولاحظ أن عدم المساواة الإجتماعية، الإستغلال الإقتصادى والقمع السياسى يتحققوا فى الوضع الإستعمارى من خلال وفى ظل سيطرة أمة على أخرى[٥١] . كما يرى المفكر أن الإستعمار هو "عنف مطلق" ويعمل على تجريد الشعوب

---

[٤٧] ديفيد كوت، مرجع سابق، ص. ١٠٧.
[٤٨] المرجع السابق، ص. ١٠٧- ١٠٩.
[٤٩] بيكو باريك، مرجع سابق، ص. ٣٣.
[٥٠] نقلا عن : محمد منصور، مرجع سابق، ص. ٧٩.
[51] Michel Giraud, « Nationalime et socialisme- Fanon », dans Nouvelle histoire des idées politiques, sous la direction de Pascal Ory, postface de René Rémond, Paris, Hachette, 1987, p. 625.

التى تخضع له من إنسانيتها[٥٢]. من هنا يلاحظ أن فرانز فانون يتفق بدرجة كبيرة مع وصف سيزار للإستعمار على أنه "عملية تحويل الإنسان إلى جماد" ولكنه يضيف أنه "لكى يمكن إستعباد الناس، من الضرورى صرفهم عن إنسانيتهم من خلال إشاعة الحيرة والإرتباك بينهم بصورة منظمة"[٥٣]. كما يتفق فرانز فانون مع كل من سيزار وكابرال Cabral[٥٤] فى أهمية رصد الجانب الثقافى للإستعمار[٥٥]. هذا وقد أكد فرانز فانون أن التحرر من الإستعمار يتم عن طريق العنف وذلك حتى يمكن مواجهة العنف الإستعمارى الذى عالجه فى كتابه "معذبو الأرض"[٥٦]. كما يوضح فرانز فانون أنه إذا كان العنف الإستعمارى هو عنف منظم ومبرمج فإن العنف الثورى هو عنف جماعى يبدأ بشكل تلقائى ثم يصبح منظما[٥٧].

إنطلاقا من هذا التصور للإستعمار، يوضح فرانز فانون أن الذات الزنجية تواجهه نظرة الآخر الأبيض العنصرية لها بل حتى مجرد إشارته لها فى الحياة اليومية. ففى كتابه "بشرة سوداء – أقنعة بيضاء"، يرصد المفكر عبارة يرددها الآخر الأبيض فى السياق الإستعمارى والتى يمكن إعتبارها عنفا لفظيا وهى : "عجبا، هذا زنجى"[٥٨]. هذه العبارة المختصرة تشير ضمنيا إلى كل المعانى السلبية التى يربطها الآخرالأبيض بالذات الزنجية والتى تشمل أيضا العبودية. فهذا الأخير يتصور، كما يوضح المفكر، أن الزنجى هو "عبد تم السماح له بالتصرف مثل السيد" وأن الأبيض "هو سيد سمح لعبيده أن يأكلوا على مائدته"[٥٩]. هذا ويؤكد فرانز فانون أن العنف الإستعمارى يبلغ اقصاه عندما يؤدى إلى ظهور "الإنسان الأسود ذى الأقنعة البيضاء"[٦٠]. هذه العبارة الأخيرة فسرت على أنها تعنى "تمثل الآخر" الأبيض لدى المقهورين

---

[52] Evelyne Pisier, Op.cit., p. 309-310.

[٥٣] ديفيد كوت، مرجع سابق، ص. ٤٦.

[٥٤] أميلكار كابرال (١٩٢٤-١٩٧٣) هو مهندس زراعى ومناضل ضد الإستعمار البرتغالى فى أفريقيا. ولد فى بافاتا بغينيا بيساو لأم غينية ولأب غينى ينتمى إلى الرأس الأخضر Cape Verde وإلتحق بالمدرسة فى الرأس الأخضر ثم بالمعهد العالى للهندسة الزراعية فى ليشبونة. ساهم فى تأسيس الحركة الوطنية لتحرير غينيا والرأس الأخضر فى سنة ١٩٥٦ وتم إغتياله فى كوناكرى بغينيا على يد البرتغاليين فى سنة ١٩٧٣.

Bernard Nanet, Op.cit., p. 51-52.
Guy Martin, Op.cit., p. 77-78.

[55] L. Adele Jinadu, Some African theorists of culture and modernization : Fanon, Cabral and others, African studies review, vol. 21, n° 1, april 1978, p. 123. (https://www.jstor.org/stable/523767 – accessed on 14/09/2014).

[56] Evelyne Pisier, Op.cit., p. 310.

[٥٧] طه عبد الجواد محمد طنطاوى، مقاومة الإستعمار فى فكر فرانز فانون، رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير فى الدراسات الأفريقية- تخصص علوم سياسية، معهد البحوث والدراسات الأفريقية – جامعة القاهرة، ٢٠٠٩، ص. ٥٠ وص. ٦٠-٦٤.

[58] Frantz Fanon, Op.cit., p. 12 et p. 118.

[59] Ibid., p. 216-217.

[٦٠] حلمى شعراوى، الفكر السياسى والإجتماعى فى افريقيا، القاهرة، مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، ٢٠١٠، ص. ١٨٦.

وفقا لآلية إستعمارية[٦١]. كما فسرت على أنها تشير إلى أن الفرنسيين يجعلون السود يقبلون مفاهيم تحولهم بوعى أو بدون وعى إلى "رعايا سود بأقنعة بيضاء" أى بإختصار يسعون إلى تحقيق "الإنصهار المذل" للسود[٦٢]. هذا ويمكن القول أنها تشير أيضا إلى نتاج عملية تشكيل الذات الزنجية الأنتيلية من قبل الآخر الأبيض الفرنسى فى السياق الإستعمارى الذى يتسم ليس فقط بتطبيق سياسة الإستيعاب الثقافى إنما أيضا بالعنف.

فى المقام الثانى، يركز فرانز فانون فى كتابه "بشرة سوداء –أقنعة بيضاء" على اللغة حيث تعد أساس الهوية الذى يلجأ إليها الآخر الأبيض الفرنسى فى تشكيل الذات الزنجية الأنتيلية. فى هذا الصدد، يلاحظ أن المفكر، الذى يخصص فصله الأول لمسألة اللغة ثم يعود مرة أخرى ليستكمل حديثه عن بعض الأمور الخاصة بها فى الفصلين السادس والسابع، ينتقل فى تطرقه لهذه المسألة من العام إلى الخاص ثم الأخص. فيبدأ المفكر، بتوضيح أهمية اللغة بصفة عامة، وليس فقط فى الحالة التى يدرسها، مؤكدا على أن التحدث بلغة معينة يعنى "إستيعاب ثقافة، تحمل ثقل حضارة" أو "إمتلاك عالم مرتبط بها"[٦٣]، أى أن معرفة لغة يؤدى إلى الإنفتاح على ثقافة وحضارة لصيقة بها. كما يضيف أن كل الشعوب التى تخضع للإستعمار تحدد موقعها من لغة الأمة التى تعلن أنها تسعى إلى جعلها متحضرة[٦٤]، بمعنى مدى تبنيها. هذا وينتقل المفكر إلى الحديث عن الأبيض والأسود مشيرا إلى أن الإستعمار يروج فكرة مؤداها أن تبنى الأسود "القيم الثقافية للمركز" يؤدى إلى تحضره[٦٥].

من هنا، يستطرد فرانز فانون بالتركيز على الذات الزنجية الأنتيلية وموضحا أن الآخر الأبيض الفرنسى، الذى ينفى بإعتباره أبيض البعد الإنسانى للهوية الزنجية بصفة عامة، يقدم لغته على أنها السبيل لإكتساب الصفة الإنسانية أى أنها ستمكن من الإنتقال من مرتبة دنيا إلى مرتبة أسمى. يعنى هذا أن التصور الذى يروجه الأبيض الفرنسى بإختصار وكما أشار إليه المفكر هو أن "الأسود الأنتيلى سيقترب من الأبيض أى من الإنسان الحقيقى عندما يجعل اللغة الفرنسية لغته"[٦٦]. هذا وقد لاحظ فرانز فانون ورصد موقف البرجوازية الأنتيلية بصفة خاصة من اللغة الفرنسية حيث تتمسك بها أكثرمن اللغة الوطنية أى الكريول الذى تستخدمه فقط مع الخدم[٦٧]. كما يمكن القول أن المفكر يشير هنا ضمنيا إلى أن البرجوازية الأنتيلية تميز إذن

---

[٦١] المرجع السابق، ص. ١٨٨.
[٦٢] ديفيد كوت، مرجع سابق، ص. ٣٧ وص. ٤١.

[63] Frantz Fanon, Op.cit., p. 37.
[64] Ibid., p. 37-38.
[65] Ibid., p. 38.
[66] Ibid., p. 37.
[67] Ibid., p. 39.

نفسها باللغة الفرنسية عن الخدم وتجعلها مفتاح تحضرها وإكتسابها مكانة سامية فى المجتمع، وذلك حتى وإن تحفظت أو رفضت نظرة المستعمر الأبيض الفرنسى العنصرية لها. هذا و يؤكد المفكر على أن الأنتيلى الذى يرغب فى أن يكون أبيض سيصبح كذلك من خلال الأداة الثقافية أى اللغة[٦٨].

فى المقام الثالث، يتطرق فرانز فانون للتعليم حيث يعد أداة تكوين الهوية التى يلجأ إليها الآخر الأبيض الفرنسى فى تشكيل الذات الزنجية الأنتيلية. فى هذا الصدد، لا يشير المفكر فقط إلى المدارس فى الأنتيل، فى الفصلين السادس والسابع، إنما أيضا إلى الطلاب الأنتيليين فى فرنسا فى الفصل الأول. بالنسبة للمدارس فى الأنتيل[٦٩]، يوضح المفكر كيف أن الآخر الأبيض الفرنسى يصمم المناهج الدراسية بحيث يتعرف التلاميذ على أنفسهم بإعتبارهم ينتمون إلى الثقافة الفرنسية. هنا، يؤكد المفكر على أن التلاميذ فى هذه المدارس يرددون عبارة "آبائنا هم الغاليين Les Gaulois" أى أنهم يتمثلون "المستكشف أو الذى يعمل على تحضرهم أو الأبيض الذى يوضح الحقيقة للهمجيين أى الحقيقة البيضاء"[٧٠] وهذا يترتب عليه إتباع نفس سلوكه. كما يضيف أن هؤلاء التلاميذ يعتبرون أن الهمجيين، الذين تتناولهم الروايات التى أعدها البيض والتى يقرأونها، هم السنغاليين وليس أنفسهم. لكن هنا لا يوضح فرانز فانون كيف ولماذا يتصور هؤلاء التلاميذ أن السنغاليين على وجه التحديد هم الهمجيين. فى الواقع، يكتفى المفكر فى هذا الصدد بالتشديد على صورة الأنتيلى لنفسه حيث لا ينظر إلى نفسه بإعتباره أسود بل أنتيلى ويعتقد أن الزنجى يعيش فى أفريقيا. يمكن القول أن هذا يعنى أن الأنتيلى يتناسى العرق الزنجى بإعتباره أحد أسس هويته ويحل محله اللغة الفرنسية التى يسعى الأبيض إلى تشكيل هويته على أساسها من خلال التعليم. كما يؤكد المفكر على أنه إذا كان الأنتيلى يتصرف نتيجة هذا التعليم بإعتباره أبيض وليس زنجيا، فإنه سيدرك أنه يعد، كالسنغالى، من الزنوج عندما يذهب إلى أوروبا ويتم الحديث هناك عن الزنوج. هذا ويرصد المفكر التناقض فى سلوك الآخر الأبيض بصفة عامة والذى يتمثل فى الإجتهاد بشكل كبير فى تصميم مناهج تعليمية تجعل الزنجى يتمثل الأبيض من ناحية والنظر إليه بإعتباره يعانى من "عقدة تبعية" تجاهه من ناحية أخرى[٧١].

أما بالنسبة للطلاب الأنتيليين فى فرنسا، فيوضح فرانز فانون أنهم ينزعجون عندما يتم التعامل معهم بإعتبارهم سنغاليين وذلك لأن الأنتيليين بصفة عامة يتصورون أنهم أكثر "تطورا من السود الذين يعيشون فى أفريقيا" أى أنهم أقرب إلى الأبيض[٧٢]. كما يمكن إستنتاج أن هؤلاء الطلاب الأنتيليين بصفة عامة يحاولون

[68] Ibid., p. ٥٥
[69] Ibid., p. 154-155.
[70] Ibid., p. 154.
[71] Ibid., p. 213.
[72] Ibid., p. 44.

الإجتهاد فى دراستهم فى فرنسا لكن يشير المفكرإلى أن نجاحهم قد يثير قلقا خارج الوسط الأكاديمى، وليس داخله، الذى يسود فيه الإعتقاد بأن الأسود الذى يتطرق لآراء المفكر الفرنسى مونتسكيو Montesquieu ينبغى مراقبته مثلما يتم الحذر من اليهودى الذى يصرف أمواله بلا حساب[٧٣]. يمكن القول أن هذا يعنى أنه فى الوقت الذى يسعى فيه الآخر الأبيض الفرنسى إلى جعل الذات الزنجية الأنتيلية تحظى بتعليم فى جامعاته وتصبح متشبعة بالثقافة الفرنسية فإن المجتمع الفرنسى قد لا يطمئن إلى عواقب ذلك. لكن يوضح فرانز فانون أن التقدير الذى يحظى به الأسود بصفة عامة يتوقف على درجة إستيعابه ثقافيا ولذلك يحرص عقب عودته من فرنسا إلى التحدث فقط باللغة الفرنسية والظهور بالتالى لأصدقائه أو لأسرته كشخصية جديدة[٧٤]. هذا ويرصد المفكر الصورة التى يرسمها الشباب الأنتيليين لنظيرهم الذى يجيد اللغة الفرنسية ويتمكن منها. فهذا الأخير يعد بالنسبة لهم "شبه أبيض" بل يتم التخوف منه بشدة[٧٥].

ثالثا : سعى الذات إلى الحصول على قبول الآخر لها

إذا كان الآخر الأبيض الفرنسى يعمل على تشكيل الذات الزنجية الأنتيلية فى السياق الإستعمارى متخذا من اللغة أساسا للهوية ومن التعليم أداة لتكوينها، فإن الذات الزنجية الأنتيلية كما يوضح فرانز فانون فى كتابه "بشرة سوداء- أقنعة بيضاء" لا تقبل بالضرورة كل المعانى المرتبطة بهذه الهوية الجديدة المفروضة عليها. ففى الواقع، يؤكد المفكر على أن الذات الزنجية الأنتيلية، كالذات الملونة الأنتيلية، تقوم بناء على ذلك برسم صورة لنفسها ثم تسعى إلى الحصول على قبول الآخر الأبيض الفرنسى للهوية التى ترغب فى أن تعرف بها فى السياق الإستعمارى. فى هذا الصدد، تجدر الإشارة إلى مسألتين.

تتعلق المسألة الأولى بعقدة الدونية التى تعانى منها الشعوب التى تخضع للإستعمار، بصفة عامة وليس فقط شعب الأنتيل، كما أكد فرانز فانون. هنا يلاحظ أن المفكر يثير هذه المسألة فى مقدمة كتابه "بشرة سوداء- أقنعة بيضاء" ثم يرجع مرة أخرى ليشير إليها و يستكمل معالجتها لكن بإختصار فى فصله الأول والرابع. فقد وضح المفكر أن هناك عاملين يؤديان إلى نشأة عقدة الدونية وهما العامل الإقتصادى أى الظروف الإقتصادية من ناحية، والعامل النفسى أى إستبطان هذه الدونية أوجعلها متعلقة بالبشرة من ناحية

[73] Ibid., p. ٥٢.
[74] Ibid., p. ٥٣.
[75] Ibid., p. ٤٠.

أخرى[٧٦]. هذا ويلاحظ أن المفكر اكتفى فقط بالإشارة بهذا الشكل إلى العامل الاقتصادى أى دون الدخول فى التفاصيل أو على الأقل شرح سمات الظرف الاقتصادى الذى يؤدى إليها .كما يضيف المفكرأن عقدة الدونية لا تنتج فقط عن نفى الإستعمار لأصالة أو تميز الثقافة المحلية للشعوب التى تخضع له إنما أيضا عن ممارسة سياسة التمييز العنصرى[٧٧].

أما المسألة الثانية، فتتمثل فى تمسك الذات الزنجية الأنتيلية باللغة الفرنسية كأساس للهوية كما أكد فرانز فانون. هنا يلاحظ أن المفكر يتطرق للطفل الزنجى الأنتيلى[٧٨] مشددا على أنه إذا كانت والدته تغنى له فى المنزل أغانى فرنسية عاطفية لا تتعلق بالزنوج، فإنها تطلب منه عندما يكون مشاغبا ألا "يتصرف مثل الزنجى". يمكن القول أن والدته تؤكد ضمنيا على أن الشغب الذى يقوم به طفلها ليس سلوك الفرنسى الذى من المفترض أن يتصرف مثله وهذا يترتب عليه دعوتها إلى تناسى سلوكيات الزنوج السلبية. هذا ويضيف فرانز فانون أن الطالب الزنجى الأنتيلى، الذى يقرأ فى المدرسة الكتب التى أعدها الأبيض الأوروبى، يستوعب رويدا رويدا الأحكام المسبقة، الأساطير والفولكلور التى يتم ترويجها لكنه لا يقبلها كلها حيث يرى أن بعض هذه الأحكام المسبقة لا تنطبق على بلاده أى الأنتيل. بالرغم من ذلك، لا يستطرد المفكر لتوضيح بشكل مباشر ماهية هذه الأحكام المسبقة المقبولة والمرفوضة.

لكن يؤكد فرانز فانون على أن كل من الذات الزنجية الأنتيلية والذات الملونة الأنتيلية لا ترسم بالضرورة صورة واحدة للهوية التى ترغب فى أن تعرف بها والتى تسعى إلى الحصول على إعتراف الآخر الأبيض الفرنسى بها. هذا يعنى أن المفكر ينتقل من النظر إلى الذات الزنجية الأنتيلية والذات الملونة الأنتيلية على المستوى الكلى إلى الأفراد التى تشملهم أى إلى المستوى الجزئى. فبصفة عامة، تختلف الهوية الإجتماعية من فرد إلى آخر وذلك من الناحية الكيفية أى نوع الجماعات التى يعلن الأفراد إنتمائهم لها ومن الناحية الكمية أى درجة إنتماء الأفراد لها[٧٩]. كما يميز بعض الكتاب بين عمليتين تنظيميتين لهيكل الهوية وهما عملية "الإستيعاب- الملاءمة" من ناحية وعملية "التقييم" من ناحية أخرى[٨٠]. "فعملية الإستيعاب- الملاءمة" تعرف على أنها تلك العملية التى تتعلق بإستغراق المعلومة الجديدة فى هيكل الهوية وتكيفها بحيث

[76] Ibid., p. 32.
[77] Ibid., p. 37- ٣٨ et p. 102.
[78] Ibid., p. 191.
[79] P.G. Klandermans, Identity politics and politicized identities : identity processes and the dynamics of protest, Political psychology, vol. 35, n° 1, february 2014, p. 2. (https://www.jstor.org/stable/43785856 – accessed on 7/08/2018).
[80] Rusi Jaspal and Marco Cinnirella, The construction of ethnic identity : insights from identity process theory, Ethnicities, vol. 12, n° 5, october 2012, p. 505. (https://www.jstor.org/stable/43572620 – accessed on 7/08/2018).

تصبح جزءا منه، بينما تعرف عملية "التقييم" على أنها تتعلق ببلورة المعانى والقيم التى تشكل مضمون الهوية. إنطلاقا من ذلك، يمكن القول أن فرانز فانون، الذى يدرك أن كل من الذات الزنجية الأنتيلية والذات الملونة الأنتيلية لا تشمل، كأى ذات، أفراد متطابقين بل مشتركين فى سمات معينة، نجح فى رصد صورتين مختلفتين يرسمهما هؤلاء الأفراد لأنفسهم ويسعون إلى الحصول على قبول الآخر الأبيض الفرنسى لهما. ففى الواقع، يوضح المفكر أن الهوية التى ترغب فى أن تعرف بها الذات الزنجية الأنتيلية والذات الملونة الأنتيلية هى إما الهوية البيضاء الفرنسية أو هوية متميزة أى مختلفة عن البيضاء الفرنسية.

فى المقام الأول، يؤكد فرانز فانون على أن الهوية البيضاء الفرنسية تعد بمثابة الهوية المثالية التى تتطلع إليها بصفة خاصة الذات الملونة الأنتيلية. هنا تطرق المفكر إلى كل من المرأة الملونة الأنتيلية، فى الفصل الثانى، والرجل الملون الأنتيلى، فى الفصل الثالث، من خلال الوقوف على بعض الروايات التى توضح كيف أن كليهما يسعى إلى الحصول على قبول الآخر الأبيض الفرنسى له كأبيض، أى كنظير له يشترك معه فى نفس الهوية، وذلك من خلال الزواج. كما يضيف أن المرأة الملونة الأنتيلية والرجل الملون الأنتيلى، الذين يعانون من عقدة الدونية، يعتقدون أن الزواج من الرجل الأبيض الفرنسى والمرأة البيضاء الفرنسية هو الذى سيمكنهم من الإنتقال إلى مرتبة أسمى والعيش بالتالى حياة أفضل. لكن يشدد المفكر على أن كليهما يدرك صعوبة تحقق ذلك فى الواقع بالرغم من تمثلهما الآخر الأبيض الفرنسى وذلك نتيجة نظرته العنصرية لهما.

فى هذا الإطار، يشير فرانز فانون إلى عبارتين أكدت عليهما إمراة ملونة، فى أحد الروايات، تفتخر أن جدتها بيضاء وتعتقد أن الأبيض والأسود نقيضان وهى : "قررت أننى لن أستطيع أن أحب إلا أبيض، أشقر بعيون زرقاء، فرنسى"[٨١]، و"كنت أرغب فى الزواج من رجل أبيض لكننى أعلم أن هذا الأخير لا يحترم المرأة الملونة حتى لو كان يحبها"[٨٢]. كما يضيف المفكر أن الطالبات الأنتيليات بصفة عامة اللاتى تدرسن فى فرنسا لا ترغبن فى الزواج من الأسود حيث تعتقدن أن "البؤس أكثر سوادا من الأسود"[٨٣]. أما بالنسبة للطلاب الملونين الأنتيليين فى فرنسا، فيوضح المفكر أن الآخر الأبيض الفرنسى لا ينظر إليهم بإعتبارهم "زنوجا أصليين" لأنه يرى أن الزنجى همجى فى حين أن الطالب الملون "متطور"، بمعنى أن هذا الأخير فى مرتبة أفضل نسبيا من الزنجى لأنه يتلقى التعليم الفرنسى[٨٤]. كما يؤكد المفكرعلى أن الرجل الملون الأنتيلى بصفة عامة، كما توضح أحد الروايات، يريد أن يكون "رجلا مثل الرجال الآخرين لكنه يعلم

[81] Frantz Fanon, Op.cit., p 62.
[82] Ibid., p. 58.
[83] Ibid., p. 63.
[84] Ibid., p. 82.

أن ذلك لن يتحقق، فهو يبحث عن السكينة وعن القبول فى عيون الأبيض"[٨٥]. إن علاقة الزواج برجل أبيض أو بإمراة بيضاء التى يتطلع إليها الأنتيليون الملونون، وفقا للمفكر، تعد بالنسبة لهم "إرتقاء إجتماعيا ومدخلا للثقافة التى يعتبرونها أسمى"[٨٦].

هذا ويلاحظ أن فرانز فانون يشدد على أن بعض الزنوج الأنتيليين، وليس فقط الملونين الأنتيليين يتطلعون بشكل غير واعى، نتيجة عقدة الدونية التى يعانون منها، إلى أن يصبحوا بيضا بل يحققون ذلك فى أحلامهم. فقد روى زنجى، كما يوضح المفكر، أنه حلم[٨٧] أنه يمشى منذ زمن بعيد وأنه يشعر بتعب شديد ولكن كان لديه إحساس أن هناك شئ ينتظره فتخطى الحواجز والجدران ووصل إلى قاعة فارغة. كما يضيف المفكر أن الزنجى فى نفس حلمه سمع صوتا خلف باب هذه القاعة وتردد فى الدخول لكنه فى نهاية المطاف دخل ووجد حجرة ثانية مخصصة للبيض وإستنتج فى هذه اللحظة أنه أيضا أبيض.

فى المقام الثانى، يؤكد فرانز فانون على أن الهوية التى ترغب فى أن تعرف بها الذات الزنجية الأنتيلية بصفة عامة هى هوية تبرز تميزها أى إختلافها عن الآخر الأبيض الفرنسى. يمكن القول أن هذا يعكس "ممانعتها"[٨٨] التى لا تعنى العداء للآخر الأبيض الفرنسى إنما رفض الخضوع له والذوبان فيه، وذلك مقابل الصورة الأولى التى ترسمها بصفة خاصة الذات الملونة الأنتيلية لنفسها والتى لا تضع حدودا بينها وبين الآخر الأبيض الفرنسى. هنا يوضح المفكر، فى الفصل الخامس، أن الصورة التى ترسمها الذات الزنجية الأنتيلية لنفسها والتى تحدد فيها خصائصها الإيجابية المختلفة عن الآخر الأبيض الفرنسى لا تتبلور إلا بالقضاء على كل من عقدة الدونية التى تشعر بها والأسطورة التى يروجها الآخر الأبيض عن الزنجى بصفة عامة والتى تؤكد أنه يتسم بالتوحش وبالخبل والجهل[٨٩]. فهنا يسعى الزنجى الأنتيلى، الذى يتقبل لون بشرته، إلى الحصول على قبول الأبيض الفرنسى له كإنسان متميز أى مختلف عن أى إنسان آخر وخصوصا الأبيض.

فى هذا الإطار، يتطرق فرانز فانون إلى مفهوم الزنوجة مشيرا إلى كتابات روادها الثلاث لكن بشكل أكبر إلى كل من سيزار وسنجور. يلاحظ أن المفكر إستعان بقصيدة لداماس عندما أكد على تمسك الذات الزنجية الأنتيلية باللغة الفرنسية كأساس للهوية وأهمية إجادتها[٩٠] كما أنه مدرك إختلاف رؤية كل من سيزار وسنجور لمفهوم الزنوجة الذى تتبناه الذات الزنجية بصفة عامة بإعتباره يعبر عن هويتها أو السمات التى

[85] Ibid., p. 88.
[86] Sélim Abou, Op.cit., p. 78.
[87] Frantz Fanon, Op.cit., p. 108.
[٨٨] على ليلة، مرجع سابق، ص. ٢٢٤.
[89] Frantz Fanon, Op.cit., p. ١٢٥.
[90] Ibid., p. 39.

تميزها عن غيرها. ففى الواقع، أكد سيزار على أن الزنوجة تعد بالأساس هوية وطريقة حياة معينة ناتجة عن ظروف معينة تتسم بالمعاناة، بينما تصور سنجور أنها تتعلق "بالقيم الخاصة بحضارة الرجل الأسود"[٩١]. لكن حدد سنجور خصائص للأسود مقارنة بالأبيض حيث تصور أن الأسود يتسم بتمسكه بالمعرفة القائمة على الحدس وذلك فى مقابل الأبيض الذى يتمسك بالمعرفة القائمة على العقل التحليلى[٩٢]. هذا ويشير فرانز فانون إلى تعليق الفيلسوف الفرنسى سارتر Sartre على مفهوم الزنوجة حيث يعتبره مفهوما يهدم نفسه لأنها وسيلة وليس غاية نهائية[٩٣].

إذن تسعى الذات الأنتيلية، كما يوضح فرانز فانون، إلى الحصول على قبول الآخر الأبيض الفرنسى لها سواء بإعتبارها مطابقة له أى بيضاء فرنسية، وليست ملونة أو زنجية، أو بإعتبارها زنجية متميزة أى مختلفة عنه. لكن فى كل الأحوال، يمكن إستنتاج أن المفكر يدعو بصفة عامة إلى أهمية بناء الذات الزنجية علاقة جديدة مع الآخر الأبيض تقوم على الإحترام، المساواة، الأخوة والتسامح أى قبول كل منهما للآخر كما هو وليس كما يرغب أن يشكله. فى هذا الصدد، يتفق فرانز فانون مع بلايدن فى تأكيده على أهمية المساواة بين الأسود والأبيض، ومع بيكو فى رفضه لإستبعاد الأبيض وأيضا مع ديبوا Dubois[٩٤] فى تأكيده على أهمية تحقيق الأخوة بين السود والبيض[٩٥]. كما تجدر الإشارة إلى أن فرانز فانون يؤكد فى الواقع على أنه يعتبر كل من الأسود والأبيض أخا له ويشير إلى نصب تذكارى للأسود والأبيض وهما يضعان يدهما فى يد بعض[٩٦].

---

[91] P. Ngoma-Binda, Op.cit., p. 123-124.

[92] Ibid., p. 127-128.

[93] Frantz Fanon, Op.cit., p. 141.

[٩٤] وليم ديبوا (١٨٦٨-١٩٦٣) هو مفكر وأستاذ أمريكى من أصول أفريقية فرنسية. ولد فى بارنجتون - ماساشوسيتس فى شرق الولايات المتحدة الأمريكية وتوفى فى أكرا بغانا. درس الفلسفة والتاريخ والإجتماع فى الجامعات الأمريكية والأوروبية وحصل على درجة الدكتوراه. كما أنه يعد من أبرز النشطاء الداعين لتحرير الشعوب الأفريقية من الإستعمار ومن رواد حركة الجامعة الأفريقية.
حلمى شعراوى، مرجع سابق، ص. ١٦٧-١٧٢.

[٩٥] إنظر فى هذا الصدد :
- باسم رزق عدلى مرزق، الهوية الأفريقية فى فكر المفكرين الأفارقة الأنجلوفون- دراسة لبعض الرؤى الفكرية، مرجع سابق، ص. ٣٩.
- Hubert MonoNdjana, Op.cit, p. 176-178.

[96] Frantz Fanon, Op.cit., p. 34 et p. 219.

الخاتمة

يمكن القول أن فرانز فانون تطرق لإشكالية الهوية فى كتابه "بشرة سوداء-أقنعة بيضاء"، الذى يهتم فيه بفهم العلاقة بين السود والبيض، مبلورا رؤية واضحة لها بدرجة كبيرة. فقد إنطلق المفكر من مناهضته، على مستوى الفكر والحركة، لكل من العنصرية مؤكدا على أنها لا ترتبط بسياق معين وللإستعمار مشددا على أنه لا يتسم فقط بالعنف إنما ايضا بالعمل على تجريد الشعوب، التى تخضع له والتى تعانى من عقدة الدونية، من إنسانيتها. كما تدور هذه الرؤية، المستمدة من قراءاته النقدية والسياق الذى عاصره، حول ثلاثة أفكار مترابطة. فالذات، فى المقام الأول، مدركة نظرة الآخر العنصرية لها والتى تتمثل فى نفى الآخر الأبيض البعدين الإنسانى والأخلاقى عن هوية الزنجى. كما أن الآخر، فى المقام الثانى، لا يكتفى بذلك إنما يعمل على تشكيل الذات فى السياق الإستعمارى ومن هنا يتخذ الآخر الأبيض الفرنسى من اللغة أساسا للهوية التى يفرضها على الذات الزنجية الأنتيلية ومن التعليم أداة لها. بالرغم من ذلك، لا يعترف الآخر، فى المقام الثالث، بهذه الذات بشكل تلقائى ولذلك تسعى الذات الأنتيلية إلى الحصول على قبول الآخر الأبيض الفرنسى لها سواء بإعتبارها مطابقة له أى بيضاء فرنسية، وليست ملونة أو زنجية، أو بإعتبارها زنجية متميزة أى مختلفة عنه.

كما يمكن إستنتاج أن معالجة فرانز فانون لإشكالية الهوية، كما تتضح فى كتابه محل الدراسة، تتسم بثلاث سمات أساسية. تتمثل السمة الأولى فى إبراز التعددية داخل كل من الفريق الذى يتعامل معه فرانز فانون بإعتباره الذات، أى السود، والفريق الذى يتعامل معه بإعتباره الآخر، أى البيض. هذا يعنى أنه مدرك أن أعضاء كل فريق تجمعهم سمات عامة لكن يمكن تقسيمهم إلى مجموعات فرعية تشترك فى سمات خاصة، ولذلك كان ينتقل فى تحليله بسلاسة من المستوى الكلى إلى المستوى الجزئى. من هنا، تطرق المفكر لنظرة الآخر العنصرية للذات وإدراك هذه الأخيرة لها مركزا على الذات الزنجية من ناحية والآخر الأبيض بصفة عامة ثم الآخر الأبيض الأوروبى من ناحية أخرى. لكنه تناول الكيفية التى يعمل بها الآخر على تشكيل الذات بالتركيز على الذات الزنجية الأنتيلية من ناحية والآخر الأبيض الفرنسى من ناحية أخرى. كما عالج سعى الذات إلى الحصول على قبول الآخر لها بالتركيز على الذات الزنجية الأنتيلية والذات الملونة الأنتيلية من ناحية والآخر الأبيض الفرنسى من ناحية أخرى.

أما السمة الثانية، فتتعلق بنظرة فرانز فانون للهوية على أساس أنها ليست معطاه بشكل دائم أى أنها تنشأ فى سياق معين وتتطور أو تتغير وفقا لإختلافه من ناحية ولتفاعلها معه من ناحية أخرى. ففى السياق الإستعمارى الذى ركز عليه المفكر، تشعر الذات الزنجية بالتهديد من الآخر الأبيض نتيجة نظرته العنصرية لها كما تعانى من عنفه اللفظى. كما يعمل الآخر الأبيض الفرنسى على تشكيل الذات الزنجية الأنتيلية أى إعادة بنائها. هذا لا يمنع أن كل من الذات الزنجية الأنتيلية والذات الملونة الأنتيلية تسعى إلى الحصول على

قبول الآخر الفرنسى للهوية التى تتطلع إليها والتى قد تختلف ليس فقط وفقا لأفرادها إنما أيضا وفقا لدرجة قبولها للصورة أو للهوية التى يرغب الآخر الأبيض الفرنسى أن تظهر بها.

بالإضافة إلى ذلك، تتعلق السمة الثالثة بتمييز فرانز فانون بين نوعين من الهوية فى السياق الإستعمارى وذلك وفقا للطرف الذى يتولى تكوينها. فهناك "الهوية المفروضة "على الذات أى التى يقوم الآخر بتحديد أساسها وإجبار الذات على قبولها وذلك من خلال التنشئة عليها. فقد أشار المفكر إلى ذلك عندما تتطرق إلى تشكيل الآخر الأبيض الفرنسى للذات الزنجية الأنتيلية متخذا من اللغة الفرنسية أساسا لها ومن التعليم أداة لتكوينها. هذا ويلاحظ أن هذه "الهوية المفروضة"، كما يؤكد المفكر، قد تحظى بقبول تام من قبل الذات بل تصبح الهوية المثالية التى تتطلع إليها. من هنا، تناول المفكر الصورة التى ترسمها بصفة خاصة الذات الملونة الأنتيلية لنفسها وأيضا يرسمها بعض الزنوج الأنتيليين لأنفسهم والتى لا تضع حدودا بينها وبين الآخر الأبيض الفرنسى. أما النوع الثانى، فيتمثل فى "الهوية الإختيارية" أى التى تحدد الذات أساسها والتى تبرز فيها السمات التى تميزها عن الآخر. فقد تطرق المفكر فى هذا الصدد إلى الهوية التى ترغب فى أن تعرف بها الذات الزنجية الأنتيلية بصفة عامة موضحا إختيارها لهوية تبرز تميزها أى إختلافها عن الآخر الأبيض الفرنسى وترفض الخضوع له والذوبان فيه.

هذا وقد نجح فرانز فانون، بأن يرصد بوضوح العلاقة غير المتكافئة والمتوترة بين الذات والآخر فى كتابه "بشرة سوداء - أقنعة بيضاء" فى السياق الإستعمارى مؤكدا على أن العنف الإستعمارى يبلغ اقصاه عندما يؤدى إلى ظهور "الإنسان الأسود ذى الأقنعة البيضاء". هذا يعنى، وفقا لبعض التفسيرات، إلى "تمثل الآخر" الأبيض لدى المقهورين وفقا لآلية إستعمارية أو سعى الفرنسيين إلى تحقيق "الإنصهار المذل للسود". كما يمكن القول أنه يشير إلى نتاج عملية تشكيل الذات الزنجية الأنتيلية من قبل الآخر الأبيض الفرنسى فى السياق الإستعمارى الذى يتسم ليس فقط بتطبيق سياسة الإستيعاب الثقافى إنما أيضا بالعنف. فى هذا الصدد، أبرز فرانز فانون التناقض فى سلوك الآخرالأبيض بصفة عامة والذى يتمثل فى الإجتهاد بشكل كبير فى تصميم مناهج تعليمية تجعل الزنجى يتمثل الأبيض من ناحية والنظر إليه بإعتباره يعانى من "عقدة تبعية" تجاهه من ناحية أخرى. كما شدد المفكر على أنه فى الوقت الذى يتم فيه تشجيع الطلاب الأنتليين على الإلتحاق بالتعليم الجامعى الفرنسى والتشبع بالتالى بالثقافة الفرنسية، لا يطمئن المجتمع الفرنسى إلى عواقب ذلك. بالإضافة إلى ذلك، وضح المفكر أن قبول الآخر الأبيض الفرنسى للذات التى يشكلها أى الأنتيلية ليس معطاه بل أن هذه الأخيرة تسعى إلى الحصول على قبوله للصورة التى ترسمها لنفسها سواء المتطابقة معه أو التى تبرز تميزها أى إختلافها عنه.

لكن يلاحظ أن فرانز فانون إختار فى عنوان كتابه "بشرة سوداء- أقنعة بيضاء" صيغة المفرد عند الحديث عن البشرة السوداء وصيغة الجمع عند الحديث عن الأقنعة البيضاء. ففى الواقع، يمكن إستنتاج أن المفكر يتحدث عن البشرة السوداء بالمفرد على أساس أن الزنوج لهم نفس لون البشرة أى الأسود ولهم نفس العرق أى الزنجى وذلك حتى وإن إختلفوا فى درجة تقبلهم لهما أو درجة سعيهم لتناسيهما. كما يمكن القول أن إدراك المفكر أن درجة هذا التمثل أو الإنصهار أو التشكيل تختلف ليس فقط وفقا للسياق الإستعمارى بل أيضا وفقا للافراد جعله يفضل الحديث عن الأقنعة البيضاء بصيغة الجمع. ففى هذا الصدد، أكد المفكر على أن الذات الزنجية الأنتيلية متمسكة باللغة الفرنسية كأساس للهوية وأن البرجوازية الأنتيلية لا تستخدم اللغة الوطنية أى الكريول إلا مع الخدم. لكن أضاف أن الذات الزنجية الأنتيلية بصفة عامة، تسعى إلى الحصول على قبول الآخر الأبيض الفرنسى لهويتها التى تبرز تميزها أى إختلافها عنه وأشار فى هذا السياق إلى مفهوم الزنوجة. فى المقابل، شدد المفكر على تطلع كل من الذات الملونة الأنتيلية، من خلال الزواج مع الآخر الأبيض الفرنسى، وبعض الزنوج الأنتيليين، بشكل غير واعى، إلى الحصول على قبول الآخر الأبيض لهما بإعتبارهما متطابقان معه وذلك مع إدراكهما صعوبة تحقيق ذلك. كما يوضح المفكر أن الآخر الأبيض الفرنسى يعتبر الطلاب الملونيين الأنتيليين الذين يدرسون فى فرنسا "متطورين" مقارنة بنظرائهم فى البلاد بل أن التقدير الذى يحصل عليه الأسود بصفة عامة يتوقف على درجة إستيعابه ثقافيا. بناء على ما سبق، يمكن فهم تتعدد الأقنعة البيضاء لأصحاب نفس لون البشرة أى البشرة السوداء.

تجدر الإشارة إلى أن فرانز فانون ينتقد بوضوح نفى الآخر الأبيض البعدين الإنسانى والأخلاقى لهوية الزنجى ويلجأ فى ذلك إلى صيغة المفرد أى يأخذ على عاتقه الرد بإعتباره زنجيا وبإسم الزنجى الذى يواجه نظرة الأبيض له. لكنه لم يكن واضحا بشكل كافى فى تطرقه لبعض المسائل. هذه الأخيرة تتعلق بكيف ولماذا يتصور طلاب المدارس فى الأنتيل أن السنغاليين على وجه التحديد هم الهمجيين الذين تتطرق لهم الروايات التى أعدها البيض، بالعامل الاقتصادى الذى يؤدى إلى عقدة الدونية، وبماهية الأحكام المسبقة التى يقبلها والتى يرفضها الطالب الزنجى الأنتيلى والتى يروجها الأبيض الأوروبى عن الزنوج.

لكن إهتم فرانز فانون بطرح رؤية للإنسان تتسم بالإيجابية، التفاؤل والمثالية وكان واعيا بدرجة كبيرة، إستنادا إلى الواقع، بإمكانية إختلاف درجة تمسك الإنسان بالقيم الأساسية، أى المحبة والكرم والحرية، ومدى حرص كل إنسان على إحترام غيره وحريته وإقامة علاقة طيبة معه لا تقوم على الإستغلال. كما يمكن إستنتاج أن المفكر يدعو إلى أهمية بناء الذات الزنجية علاقة جديدة مع الآخر الأبيض تقوم على الإحترام، المساواة، الأخوة والتسامح أى قبول كل منهما للآخر كما هو وليس كما يرغب أن يشكله.

إنطلاقا مما سبق، يمكن القول أن فرانز فانون، بالرغم من إتفاقه فى بعض المسائل مع بعض رواد التيارت الفكرية الأساسية الأفريقية التى تطرقت لإشكالية الهوية، أسهم إسهاما كبيرا فى هذا الصدد. يتضح ذلك، فى المقام الأول، فى معالجته المتميزة لإشكالية الهوية التى إتسمت بإبراز التعددية داخل كل من الفريق الذى يتعامل معه بإعتباره الذات، أى السود، والفريق الذى يتعامل معه بإعتباره الآخر، أى البيض، فى النظرإلى الهوية بإعتبارها ليست معطاة بشكل دائم، وفى التمييز بين نوعين من الهوية فى السياق الإستعمارى أى "الهوية المفروضة" و"الهوية الإختيارية". كما يتضح، فى المقام الثانى، فى نجاحه فى رصد بوضوح للعلاقة غير المتكافئة والمتوترة بين الذات والآخر فى السياق الإستعمارى الذى يناهضه، وذلك مع الدعوة إلى أهمية تغيرها للأفضل بحيث تقوم على الإحترام، المساواة، الأخوة والتسامح. هذا بالإضافة إلى حرصه، فى المقام الثالث على إبراز، منذ إختياره لعنوان كتابه محل الدراسة ومن خلال تحليله فى فصوله المختلفة لعلاقة السود بالبيض فى السياق الإستعمارى الذى يناهضه، تعدد الأقنعة البيضاء لأصحاب نفس البشرة السوداء.

قائمة المراجع

أولا : النص الأصلى

Frantz Fanon, Peau noire- masques blancs, document produit en version numérique par Emilie Tremblay et réalisé le 6 décembre 2011 à Chicoutimi, ville de Saguenay, Québec.

ثانيا : المراجع باللغة العربية

١- الكتب

بيكو باريك، سياسة جديدة للهوية- المبادئ السياسية لعالم يتسم بالإعتماد المتبادل، ترجمة وتقديم حسن محمد فتحى، مراجعة محمود ماجد عبد الخالق، القاهرة، المركز القومى للترجمة، ٢٠١٣.

حلمى شعراوى، الفكر السياسى والإجتماعى فى افريقيا، القاهرة، مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، ٢٠١٠.

حمدى عبد الرحمن، أفريقيا وتحديات عصر الهيمنة...أى مستقبل ؟، القاهرة، مكتبة مدبولى،٢٠٠٧.

حمدى عبد الرحمن، جيفارا الأفريقى- دراسة فى الفكر السياسى لتوماس سانكارا، تقديم حلمى شعروای، القاهرة، مكتبة جزيرة الورد، ٢٠١٥.

ديفيد كوت، فرانز فانون- سيرة فكرية، نقله إلى العربية عدنان كيالى، تقديم فوزى سليسلى، القاهرة، مدارات للأبحاث والنشر، ٢٠١٧.

سيزا قاسم، القارئ والنص- العلامة والدلالة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠١٤.

طونى بينيت، لورانس غروسبيرغ وميغان موريس، مفاتيح إصطلاحية جديدة – معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة سعيد الغانمى، بيروت، المنظمة العربية للترجمة/مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٠.

عبد الملك عودة، فكرة الوحدة الأفريقية، القاهرة، دار النهضة العربية، دون تاريخ نشر.

على ليلة، الأمن القومى العربى فى عصر العولمة - إختراق الثقافة وتبديد الهوية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠١٢.

محمد منصور، المواطنة والهوية فى عالم متغير، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠١٦.

٢- المقالات فى الدوريات العلمية

باسم رزق عدلى مرزوق، الهوية الأفريقية فى فكر المفكرين الأفارقة الأنجلوفون- دراسة لبعض الرؤى الفكرية، مجلة الشئون الأفريقية، العدد ٦، أبريل ٢٠١٤، ص. ٢-٥٠.

باسم رزق عدلى، إتجاهات الأمن الفكرى فى أفريقيا، السياسة الدولية، العدد ٢١١، يناير ٢٠١٨، ص. ٢٢-٣٤.

بنيامين ليشوا، أفريقيا بعد الإستقلال فى عيون كتابها وشعرائها، ترجمة عمر عبد الفتاح، آفاق أفريقية، العدد ١٥، خريف ٢٠٠٣، ص. ٩٣-١٠٢.

هويدا عدلى، الكراهية فى المجتمعات من منظور "أزمة الهوية"، إتجاهات نظرية فى تحليل السياسة الدولية – ملحق مجلة السياسة الدولية، العدد ١٩٩، يناير ٢٠١٥، ص. ١٣-١٨.

٣- الرسائل العلمية

طه عبد الجواد محمد طنطاوى، مقاومة الإستعمار فى فكر فرانز فانون، رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير فى الدراسات الأفريقية- تخصص علوم سياسية، معهد البحوث والدراسات الأفريقية - جامعة القاهرة، ٢٠٠٩.

ثالثا : المراجع بلغة أجنبية

١- الكتب

Abou, Sélim, L'identité culturelle – relations interethniques et problèmes d'acculturation, Paris, Hachette/Pluriel, 1995.

Bayart, Jean-François, L'illusion identitaire, Paris, Fayard, 1996.

Betché, Zachée, L'invention de l'homme noir – une critique de la modernité, Paris, L'Harmattan, 2012.

Bidima, Jean-Godefroy, La philosophie négro-africaine, Paris, Presses universitaires de France, 1995.

Dubar, Claude, La crise des identités - l'interprétation d'une mutation, Paris, Presses universitaires de France, 2007.

Ferret, Stéphane, (textes choisis et présentés par), L'identité, Paris, Flammarion, 1998.

Martin, Guy, African political thought, United States- New york, Palgrave Macmillan, 2012.

MonoNdjana, Hubert, Histoire de la philosophie africaine, Paris, L'Harmattan, 2009.

Nanet, Bernard , Dictionnaire d'histoire et civilisations africaines, Paris, Larousse, 1999.

Ngoma-Binda, P., La pensée politique africaine contemporaine, Paris, L'Harmattan, 2013.

٢- الإسهامات فى الكتب

Giraud, Michel, « Nationalime et socialisme- Fanon », dans Nouvelle histoire des idées politiques, sous la direction de Pascal Ory, postface de René Rémond, Paris, Hachette, 1987, p. 624-634.

Jeanson, Francis, « Préface (1952) et Postface (1962) de Peau noire- masques blancs de Frantz Fanon », dans Frantz Fanon, Peau noire- masques blancs, document produit en version numérique par Emilie Tremblay et réalisé le 6 décembre 2011 à Chicoutimi, ville de Saguenay, Québec, p. 10-27 et p. 230-260.

Pisier, Evelyne, « Fanon, Frantz 1925-1962- Les damnés de la terre, 1961 », dans Dictionnaire des œuvres politiques, sous la direction de François Châtelet, Olivier Duhamel et Evelyne Pisier, Paris, Presses universitaires de France, 2001, p. 309-312.

٣- المقالات فى الدوريات العلمية

Jaspal, Rusi and Cinnirella, Marco, The construction of ethnic identity : insights from identity process theory, Ethnicities, vol. 12, n° 5, october 2012, p. 503-530. (https://www.jstor.org/stable/43572620 – accessed on 7/08/2018).

Jinadu, L. Adele, Some African theorists of culture and modernization : Fanon, Cabral and others, African studies review, vol. 21, n° 1, april 1978, p. 121-138. (https://www.jstor.org/stable/523767 – accessed on 14/09/2014).

Klandermans, P.G., Identity politics and politicized identities : identity processes and the dynamics of protest, Political psychology, vol. 35, n° 1, february 2014, p. 1-22. (https://www.jstor.org/stable/43785856 – accessed on 7/08/2018).

Owens, Timothy J. ; Robinson, Dawn T. and Smith-Lovin, Lynn, Three faces of identity, Annual review of sociology, vol. 36, 2010, p. 477-499. (https://www.jstor.org/stable/25735088 – accessed on 7/08/2018).

Petriglieri, Jennifier Louise, Under threat : responses to and the consequences of threats to individuals identities, The academy of management review, vol. 36, n° 4, october 2011, p. 641-662. (https://www.jstor.org/stable/41318089 – accessed on 7/08/2018).

Stets, Jan E. and Carter, Michael J., The moral self : applying identity theory, Social psychology quarterly, vol. 74, n° 2, june 2011, p. 192-215. (https://www.jstor.org/stable/41303977 – accessed on 7/08/2018).